

دور الاتصال التربوي في تفعيل آلية المنظومة اللغوية في المجتمع الجزائري

د. الجوزي وهيبة، جامعة مولود معمري تيزي وزو

ملخص:

إنَّ الإعلام التعليمي ينحصر في الصحف والمجلات التي تصدر إلى المعلمين والطلاب وغيرهم من عناصر العملية التعليمية مضافا إلى ذلك البرامج التعليمية المسموعة والمرئية فإن الرأي أن الإعلام التربوي هو الإعلام الشامل للتربية بمفهومها الواسع الحديث ومن بينها الإعلام التعليمي.

ويتفق الإعلام والتعليم في أن كلا منهما يهدف إلى تغيير سلوك الفرد، فبينما يهدف التعليم إلى تغيير سلوك التلاميذ إلى الأفضل نجد الإعلام يهدف إلى تغيير سلوك الجماهير ؛ فالتلميذ الذي ينطق كلمة جديدة لم يتعود عليها من قبل قد تعلم شيئا فسلك أنواعا من السلوك اللغوي غير سلوكه الأول الذي اعتاد عليه.

كما أن التعليم والإعلام أصلا عملية تفاهم، وعملية التفاهم هي العملية الاجتماعية الواسعة التي تبنى عليها المجتمعات، إذ لا يمكن أن يعيش فرد معزولا دون أن يتفاهم مع من معه بشأن هذا العمل ويتعاطف معه فيه.

وأیضا أنَّ التعليم والإعلام أصلا عملية تفاهم، وعملية التفاهم هي العملية الاجتماعية الواسعة التي تبنى عليها المجتمعات، إذ لا يمكن أن يعيش فرد معزولا دون أن يتفاهم مع من معه بشأن هذا العمل ويتعاطف معه فيه.

والإعلام بأشكاله المتنوعة في إدارات الإعلام عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس من خلال الحوار الهادف.

الكلمات المفتاحية: التواصل - اللغة - الإعلام التربوي - التلميذ - التعليم

Résumé :

Les liens unissant les membres d'un groupe, d'une société ou d'une nation ne peuvent être consolidés que s'ils utilisent le même moyen de communication :

L'union spirituelle et sociale entre les individus constitué l'objectif premier de la langue

C'est une problématique présentée dans le monde arabe en générale et dans la société algérienne en particulier : au sein de laquelle les échanges langagiers ne sont pas uniformes en raison de présence du phénomène du bilinguisme.

Ainsi, cet exposé déterminerait l'importance de la langue dans l'enrichissement du patriotisme étant l'un des fondements de la culture nationale à partir des méthodes éducatives en cours dans les écoles , et qui puisent dans les gènes culturels et visent la production et de formation

D'une génération qui caractérise par sa fidélité pour son pays et qui porte en elle la culture de sa nation.

مقدمة:

يمكن اعتبار موضوع "اللغة والتواصل" من المواضيع الهامة، الحساسة والرائنة في نفس الوقت، كما أنه موضوع متشعب الأطراف لا يمكن الإحاطة بجميع محاوره وأبعاده، لذلك سوف أركز في هذا البحث على اللغة كعنصر أساسي من عناصر بناء الشخصية الوطنية وتماسكها وبقائها داخل المجتمع في المنظومة التربوية.

1- إشكالية البحث:

إن استعمال اللغة كآلية للتواصل الاجتماعي والتربوي في المجتمع الواحد، هو ادعى إلى التواصل والتفاهم والانسجام بين أبناء الأمة الواحدة. وانصهارهم كليا في تجمع فكري واجتماعي واحد. وهو ما نلاحظه منعما في غالبية المجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري. حيث تتعمد الوحدة الفكرية في أوساط العاميين والمتقنين بسبب التباين الثقافي اللغوي بمعنى: اللغة العربية واللغة الفرنسية. وبالتالي تختلف وجهات نظرهم وأحكامهم على الأشياء في بعض الأحيان.

ولا شك أن الثقافة المشتركة المنتشرة في أوساط أبناء المجتمع هي من أكبر العوامل لبناء الكيان الوطني للمجتمع. ويقدر ما يكون هذا العامل راسخا ومتجذرا في نفوس الأفراد ومسيطرًا على الحياة الاجتماعية والفكرية لأبناء الشعب الواحد. بقدر ما يكون هذا الأخير قد اندمج في ثقافة واحدة قوية وراسخة.

من هذا المنطلق كانت دلالة باللغة الواحدة أو اللغة المشتركة ذات بعد وطني وقومي، يضمن لأفراد الأمة الواحدة استمرارية تواصلها وتماسكها.

وأبضا، مما يدل على أهمية اللغة في حياة الشعوب وتكوين الامم، فاللغة هي مرآة صادقة تعكس التاريخ والبنية الاجتماعية للأفراد وتكوين الأمم. وأبضا هي روح الشعب وسمه من سمات البنية الثقافية المتناقلة عبر الأجيال والمميزة

للشخصية الوطنية(1). فاللغة هي الناقلة لذاكرة الأمة عبر المؤسسات التربوية، كالمدرسة وغيرها. وذلك يتضح فيما تقدمه سائر الدول ومنها الجزائر، من اهتمام باللغة في مناهجها التربوية لضمان التواصل والتماسك الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع الواحد.

وممّا سبق يمكننا طرح الإشكال التالي: هل للمدرسة دور في تفعيل آلية التواصل اللغوي لتحقيق التماسك الاجتماعي في المجتمع الجزائري؟

2- الفرضية العامة للبحث:

هناك علاقة دالة بين المدرسة وتفضيل العامل اللغوي المحقق للتماسك الاجتماعي في المجتمع الجزائري.

3- أهداف البحث: إن هذا البحث يهدف إلى إبراز عنصرين أساسيين مما:

- **العنصر الأول:** اللغة كأداة للتواصل الاجتماعي،
- **العنصر الثاني:** دور اللغة في بناء الشخصية الوطنية للفرد داخل المدرسة والمجتمع.

4- الأهمية العلمية للبحث:

من هنا يتضح إن الإعلام والتربية دعامتان يجب أن نجند لهما كل الوسائل التي تخطط لها الدولة، ومن أجل توجيه الأجيال الناشئة والمتعاقبة التوجيه العلمي السليم للسلوك الاجتماعي الذي نرتضيه لأبنائنا ومجتمعنا، مستفيدين في ذلك من الروابط الوثيقة التي تجمع الإعلام بالتعليم.

5- منهجية البحث:

منهج هذا البحث، اعتمدنا على المنهج الوصفي بطريقة التحليل للمعطيات الميدانية لهذا البحث، باعتبار أن المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المناسب لمثل هذه الدراسات.

6- مجتمع وعي نة البحث:

اشتمل مجتمع هذه الدراسة على المدارس التعليمية في الوسط الجزائري وركزنا على وجه الخصوص على المدارس الثانوية في ولاية الجزائر الوسطى في: (ثانوية زينب أم المساكين، وثانوية عمر راسم وعقبة ابن نلفع).

7- أدوات الدراسة:

تعتبر أدوات الدراسة المحور الأساسي الذي يعتمد عليه الباحث في الكشف عن الحقيقة، وعن مشكلة البحث. وفي هذا البحث اعتمدنا على تحليل وثائق اختبارات نهاية السنة التي تضمنت إجابات على مواضيع طرحت حول الوحدة التعليمية المتعلقة بتاريخ الجزائر. وأيضا تقنية المقابلة المباشرة مع تلاميذ القسم النهائي. وهذا بغرض الوصول إلى تقييم مستوى اللغة كآلية التواصل التربوي لتلاميذ الثانوي الذين يعتبرون جزء هام من شريحة المجتمع الجزائري.

8- تحديد مفاهيم الدراسة:

1- الإعلام التربوي: المفهوم والأهداف:

- الإعلام التربوي هو : استثمار وسائل الاتصال من أجل تحقيق أهداف التربية على ضوء السياسة التعليمية.
- العمل على غرس تعاليم الشريعة الإسلامية وبيان سماحة الإسلام.
- تنمية الاتجاهات السلوكية البناءة، والمثل العليا في المجتمع.
- تلمس مشكلات المجتمع، والعمل على بث الوعي التربوي تجاهها.
- التعريف بجهود الدولة تجاه الوطن وأبناءه.
- متابعة وسائل الاتصال الجماهيرية، والاستفادة من الرؤى العلمية، والوقوف على مطالب الميدان من خلال ما تبثه من معلومات.
- القيام بالبحوث وتشجيعها في جميع المجالات التربوية.
- تبني قضايا ومشكلات التربية والتربويين والطلاب ومعالجتها إعلاميا.
- إبراز دور المدرسة بوصفها الوسيلة الأساسية للتربية والتعليم.

- خلق علاقة إيجابية مبنية على الثقة والاحترام المتبادل بين أعضاء الجهاز والمجتمع بما يساعد في زيادة العطاء والإخلاص في العمل.
- الاهتمام بجميع عناصر العملية التعليمية : المعلم . الطالب . المنهج . المبنى المدرسي . ولي الأمر .

- التواصل مع المجتمع من خلال نشر الأخبار، وتزويد الرأي العام بالمعلومات الصحيحة عن البرامج والمشروعات التعليمية والتربوية التي تحقق المسؤولية الجماعية للعمل التربوي.

- أهداف الإعلام التربوي:

إنَّ حياتنا اليوم بحاجة إلى أن نحقق إعلاما عمليا يقوم بتحقيق تلك الأهداف السامية، ويسهم في عملية التنقيف : التنقيف الأخلاقي، التنقيف الاجتماعي، التنقيف الإنساني، هذا إلى جانب التنقيف التربوي والتعليمي. نحتاج إلى إعلام تربوي قادر على الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة، وتطويرها لخدمة الفعل التربوي.

والإعلام التربوي مطالب بمتابعة سلوكيات الطلاب في داخل المدرسة وفي المجتمع، كما يؤكد لهم ضرورة الحفاظ على المدرسة بمبناها ومعناها، هذا من خلال محافظته على سلوكياته كطالب علم بأن يتحلى بالأخلاق الكريمة: احترامه لمعلمه، وحبه لوالديه، الرغبة الملحة في العلم، حبه لزملائه، ولأهله لوطنه، حفاظه على النظام والنظافة، البعد عن كل مشين للفرد، أن يكون متعاوناً في الخير مع المجتمع، مرتبطاً بأسرته، محافظاً على بيئته، متصفاً بصفات المسلم الكريم والعربي الأصيل.

نريد إعلاماً تربوياً يعايش ظروف مجتمعه الزمانية والمكانية ليكون معيناً للمعلمين وللاباء والأمهات في تقريب المعلومة لذهن الطالب، ودالاً له على سبل تحصيل العلم والمعرفة، وتأسيس القيم الإسلامية النبيلة.

2- ماهية اللغة:

بالرغم من الصعوبات التي تواجه أي باحث علمي يختص بدراسة اللغة والتواصل للوصول إلى تحديد تعريف دقيق وشامل للغة إلا أن تعريف اللغة يعتبر اللبنة الأساسية في تحليل الظاهرة اللغوية.

وفيما يلي هناك عدة تعريفات تتحدث عن ماهية اللغة.

- نجد ابن منظور في لسان العرب يقول: "أن اللغة تتبدل وتتغير وتتطور حسب تبدل الأقوام والأحوال وأن مصدر كلمة لغة هي اللغو"، وهو ما كان من الكلام غير المعقود عليه، وهو أيضا ما لا يعتد به لتقلبه من حال إلى حال. وقد ميز كذلك بين مفهوم اللغة، الكلام واللسان كما عرف أيضا ابن منظور اللغة اصطلاحا، فقال: "اللغة عبارة عن ظاهرة اجتماعية وهي أداة التفاهم والاتصال بين أفراد الأمة الواحدة، واللغة هي نمط من السلوك لدى الأفراد والجماعات، أما الكلام فهو سلوك فردي يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة". وباختصار فإن اللغة تشير إلى الجانب الاجتماعي، بينما الكلام يشير إلى الجانب الفردي سواء ما كان يصدر عن الفرد قولا مفيدا أم غير مفيد.

وتمثل اللغة أحد الجوانب الاجتماعية والنفسية لدى الإنسان لأدائها هي الأساس للعلاقات الاجتماعية ووسيلة للتواصل بين الأفراد. فاللغة كائن حي نام ومتطور كما أنها ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد. لذا اهتم علم النفس بدراسة السلوك اللغوي متمثلا في طرق تكوين العادات اللفظية وأثرها على الشخصية ودور الفروق الفردية في اكتساب اللغة. والأسس النفسية لاكتساب المهارات اللغوية وعلاقة اللغة ببعض مكونات الشخصية، والآثار الحضارية والاجتماعية في تعلم وتعليم اللغة ومشكلات وعيوب النطق والكلام من منظور نفسي. ومشكلة تعلم لغتين في وقت واحد. وأثر كل ذلك وعلاقته بالشخصية(2). هوما يعد محور وموضوع الدراسات النفسية.

وأحدثت التعريفات التي تناولت اللغة وأكثرها عمقا وشمولا والتي تكشف بوضوح عن مختلف الاتجاهات الحديثة هو ذلك التعريف الذي قدمه لويس بلوم Bloom ومارجريت لاهي Lahey حيث عرفا اللغة: هي الشفرة التي يعبر بواسطتها عن الأفكار المتعلقة بالعالم من حولنا وذلك بواسطة نظام متعارف عليه من الرموز لتحقيق الاتصال(3).

وإذا ما رجعنا إلى المعجم نجد "أندري لالاند" يحدد معنيين للغة: **المعنى الخاص** أنّ للغة وظيفة التعبير الكلامي عن الفكر داخليا وخارجيا.

المعنى العام أنّ كل نسق من العلامات يمكن من التواصل وهو ما انتهى إليه ديكايرت، أن اللغة مرتبطة بالفكر والعقل وأنّ اللغة لا يمكن أن تكون إلا ظاهرة خاصة بالإنسان، ذلك أنه الكائن الوحيد الذي يملك القدرة على الإبداع. أما علماء التربية فقد عرفوا اللغة أنها أداة تعليم لعدد من المواد الدراسية أو لكل المواد وهي كمادة من مواد المنهاج الدراسي والناقلة للأفكار والمحقق للغايات والأهداف التي تسعى المنظومة التربوية أن تجسدها في أرض الواقع(4).

وقد أثّرت مسألة اللغة في الكثير من اللقاءات والملتقيات. فقد ورد في جريدة العروبة، وهي جريدة يومية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر بدمشق - سوريا، أنه تم تنظيم الملتقى التربوي التاسع والعشرين والذي جعل من أهم فعالياته اللغة العربية. لأنها ترمز إلى هويتنا العربية وقيمنا وعمق حضارتنا. ودور الأنشطة المدرسية في تعزيز وتحقيق الأهداف التربوية في بناء شخصية جيل المستقبل الواعد.

9- اللغة كأداة للتواصل الاجتماعي:

إنّ اللغة هي الخاصية الجوهرية الأولى بالنسبة للإنسان، باعتباره حيوانا ناطقا، المتكلم بدلالة العقل ودلالة الكلام. فكل شيء يكتسبه الفرد في المجتمع إنما يكون عن طريق اللغة. فلا يمكننا أن نتحدث عن التواصل دون الحديث عن

اللغة. "فاللغة أداة تواصل انسانية بحتة"، كما جاء في قول إدوار سابير E.Sapir. فاللغة هي وسيلة للتعبير والتواصل (5). واللغة أداة تفكير، فالكلمة تُخرج الفكرة من الغموض إلى الوضوح بالتعبير اللفظي عنها. فالفكرة لا تتحقق ولا تكون فكرة فعلية إلا حينما "تصب" في قالب لغوي. فلغة الكلام اليومية، هي لغة اجتماعية يكتسبها الانسان من محيطه عن طريق التربية. وتمتاز بكونها اصطلاحية واصطلاحية، على أساس أن لكل مجتمع لغة خاصة به. وهي تقوم بدور اجتماعي أساسي وجوهري. وهو تمكين الأفراد من التواصل والتفاهم قصد تبادل الخدمات والتعاون...، إذن فاللغة ضرورية في التربية والعمل، وفي كل مجالات الحياة، فلا تنبيه أو توجيه أو تشجيع أو توبيخ يمكن أن يحدث، دون هذه اللغة، "فالإنسان يد ونطق".

واللغة تعني اصطلاحاً، كما جاء في قاموس علم الاجتماع للدكتور محمد عاطف غيث، أنها صورة السلوك الإنساني الشاملة التي تنطوي على الاتصال الرمزي من خلال نسق النماذج الصوتية المتفق عليها ثقافياً. والذي يحمل معاني مقننة.

كما تعتبر اللغة جزء من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت، هذا وتتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل إلى آخر، واللغة نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة، وكذلك العواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة. إضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي، والتفكير ومعرفة الذات والآخرين وهي بذلك ضرورية للوجود الاجتماعي (6).

واللغة من منظور علم الاجتماع، فهي مؤسسة اجتماعية كباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى، تعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعملها، والمجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع، وأساسها الصراعات والتناقضات التي تتفاعل، فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة وديناميكية

مستمرة ومتواصلة. وتلك هي صيرورة الحياة. كما أنها أيضا، تتفاعل مع كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى. ينطبع بهذا التنوع والاختلاف، ويعكس بدوره الحركة الاجتماعية في تحولاتها وصراعاتها وتناقضاتها. بل قد تكون اللغة البؤرة والحيّز الذي تتصهر فيه الصراعات والتناقضات التي تظهر على الساحة الاجتماعية. هي الإشكالية التي رفعتها خولة "طالب الإبراهيمي" في جزمها على أن المجتمع كالمجتمع الجزائري الذي يعيش التزاوج اللغوي بين لغتين متناقضتين في بعدهما الثقافي. وهما اللغة العربية ذات البعد الثقافي العربي الإسلامي واللغة الفرنسية ذات البعد الثقافي الفرنسي غير الإسلامي. والثقافتان مختلفتان في الهوية وهو ما يثير الجدل حول هوية متبني العربية و الفرنسية معا كلغة(7).

فاللغة تحثل مركزا ممتازا في مناهج التعليم، في جميع المجتمعات، والجزائر أولت اهتماما كبيرا في مناهجها التربوية، للغة كأداة للتعليم وأداة للاتصال والتفاهم. ذلك ما نجده في قراءة الكتب وتطبيق المناهج تطبيقا صحيحا. بإشراك المتعلم في العملية التربوية لفظا وكتابة. من أجل ذلك، على المؤسسات التربوية أن تكثف من عنايتها بتدريب المتعلمين على التعبير الصحيح، معتمدة في ذلك بالعلوم اللغوية على اختلاف أنواعها. فباللغة يفسح المجال أمام المتعلم للتعبير عن أفكاره. وذلك بتنمية ملكاته، المتمثلة في قوة النطق والمقدرة على الكلام. هو ما يشجع المتعلم أكثر على توسيع دائرة اتصاله بالآخرين، والتعبير عن حاجاته ورغباته وأيضا عن عواطفه. وبالتعبير الصحيح يتدرب التلميذ على التفكير الصحيح. فالتعبير والتفكير متلازمان لدى الفرد. هو ما على المدرسة أن تقوم به في تطور الفرد الفكري والاجتماعي. وهي تساعده على أن يندمج في المجتمع الكبير بثبات. على هذا الأساس فهي حلقة وسيطية بين الأسرة، كنظام اجتماعي عام في المجتمع، وبين المجتمع. وفي المدرسة يتحصل الفرد على التحصيل اللغوي والعلمي في مختلف مجالات العلوم. لتجعل منه عضوا صالحا وبناءا في المجتمع. فالمدرسة كما يراها علماء الاجتماع تقوم بدور الموجه والمرشد. فهي

أداة من أدوات التقدم الاجتماعي. وحلقة تواصل بين التراث الثقافي والإبداعي للمجتمعات، وبين الأجيال الصاعدة. وتكون اللغة هي وسيلة رائدة في تفعيل ذلك التواصل من خلال وظائفها الثلاث التي تقوم بها، وهي:

الاستكمال والتصحيح والتنسيق. بمعنى: أن المدرسة تستكمل ما تقوم به الأسرة من تربية الطفل في تقويم لغته ومواهبه. وتصحيح التشوهات التربوية لدى الطفل التي ترتكبها المؤسسات الأخفهي، أي المدرسة، تقومُ العادات السلبية التي تعود عليها الطفل كاللفظ القبيح والسلوك السيء. كما تقوم المدرسة بدور التنسيق بين المؤسسات التربوية المختلفة لغاية تربية الطفل. فيتم التواصل الدائم بينها وبين المؤسسات، وتتعاون معها على تنشئة الجيل الجديد تنشئة بناءة وصالحة في خدمة المجتمع ورفقه. وعليه، في العملية التربوية تتم عملية نمو الشخصية وتكاملها، الذي ينتج من مرور الفرد بالتجارب المتعددة الأنواع. مع نمو هذا الفرد في وسط اجتماعي، يتفاعل ويتواصل مع الأفراد الآخرين، فيحدث لديه النمو المؤدي إلى تكامل شخصيته المميزة لنوع الثقافة والحضارة السائدة في المجتمع. فالمناهج الدراسية أداة لتكوين شخصية التلميذ. فغابتها تربية الفرد وتهيئته لأن يكون قادرا على خدمة مجتمعه، في ثبات يرفع من شأنه ورفقه بين دول العالم.

وما لاحظناه في السنوات الأخيرة أنه حدث تغييرا أساسيا في الدراسات اللسانية، إذ أخرجت اللغة نهائيا من مشكل الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت عن الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية (البنوي الدلالي والتداولي). وعلى هذا يقول اللغوي الألماني "روك" في هذا الصدد: أن اللسانيات النصية بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال أخذت شيئا فشيئا مكانة هامة في النقاش العلمي في السنوات الأخيرة. والنص الحديث له منظور خاص يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع، المكتوبة وغير المكتوبة.

ونختصر الطريق في تقديم أهم توجهات اللسانيات النصية باعتمادنا على ما عرض في مقال نشر في العدد الثاني عشر من مجلة اللغة والدرب التي تصدرها جامعة الجزائر. حيث عرض فيها أهم القواعد المبدئية التي اقترحها اللغوي الفرنسي جان ميشال آدم، لإرساء أسس نظرية نصية متكاملة، مما نتصور، أن يكون في المستقبل علم اللغة التداولي.

واللغة ليست لغ إلا عند استعمالها استعمالا فعليا في الواقع كما أكدته توجيهات البحث المعاصرة. ففي الآونة الراهنة الكثير من الدراسات والأبحاث تحاول جمع اللغوي بالاجتماعي تتطوي تحت ما أصبح يسمى الآن بعلم الاجتماع اللغوي (Socio-linguistique).

والواقع أن اللغة هي ظاهرة اجتماعية تعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يوظفها. والمجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع وأساسها الصراعات والتناقضات التي تتفاعل، فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة وديناميكية مستمرة ومتواصلة. فاللغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع كل الظواهر الاجتماعية الأخرى، ينطبع بهذا التنوع والاختلاف ويعكس بدوره الحركة الاجتماعية في تحولاتها وصراعاتها وتناقضاتها. وقد تكون اللغة هي المجال الذي تذوب فيه الصراعات والتناقضات التي تحدث على الساحة الاجتماعية (8).

10- دور الإتصال التربوي في تفعيل آلية المنظومة اللغوية في المجتمع الجزائري:

الملاحظ أن هناك ارتباطا عضويا بين الثقافة والشخصية، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي. لأن الثقافة هي المعيار الاجتماعي للشخصية. ومن ذلك فإن أي حديث عن الشخصية، هو أيضا حديث عن العناصر الثقافية التي تحدد أبعاد هذه الشخصية وتوضح معالمها توضيحا دقيقا. فالشخصية في مفهومها اصطلاحا كما يرى ذلك "K.Lewin" في مؤلفه "A Dynamic theory of personality"، أن الشخصية هي صيغة منظمة نسبيا

لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم النمطية المميزة لشخص معين والتي يعترف بها هو والآخرين، وتعتبر الشخصية محصلة الخبرات الفردية في بيئة ثقافية معينة ومن خلال تفاعل اجتماعي متميز، ولهذا نحدد بناء شخصية الفرد عن طريق ملاحظة نموذج سلوكه العام وطريقة تفكيره ومشاعره وأفعاله. على أن الشخصيات الفردية تعكس بناء مجتمع الشخص وثقافته والعمليات الكامنة في هذا البناء(9).

ويشير المصطلح أيضا أن الشخصية هي مجموعة العناصر البيئية في سلوك الفرد، وذلك دون الإشارة إلى عمليات سيكولوجية معينة مع الاهتمام بالهوية والكيان المستمر للفرد في مجرى النمو والتطور.

إن السلوك كما يراه "كورت ليكين Kurt Lewin" عبارة عن وظيفة لتفاعل الشخصية مع البيئة. غير أن الأفراد قد يسلكون بطريقة مختلفة تماما في بيئات متشابهة أو حتى في نفس البيئة. ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف الخصائص الفطرية والموروثة، واختلاف طبيعة وتنظيم الاستجابات المكتسبة التي تشمل على طرق إدراك ثقافة البيئة أو الإحساس بها(10).

فدور الثقافة في المجتمع هو تكوين الشخصية الوطنية، فكيف يتم ذلك؟ للثقافة معنيان، المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

أما معناها لغويا، فهي التهذيب والصقل، فالشخص المثقف هو الشخص المهذب والمصقول في أخلاقه وسلوكه العام. أو هو ما ينبغي أن يكون في أيامنا هذه.

أما اصطلاحا، فالثقافة هي ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات، والعادات والتقاليد وأساليب التفكير، والعمل، وأنماط السلوك وكل ما يبنى من تجديرات في وسائل الحياة مما ينشأ عليه كل فرد من أفراد المجتمع. وثقافة الأمم تتسع لكل ما أنتجته عبقريتها خلال مراحل التاريخ التي مرت بها إلى الوقت الحاضر. فهي تتضمن عناصر معنوية، كاللغة والعلوم والآداب والنظم والفنون

والقوانين والعادات والتقاليد والأخلاق والدين، التي يشترك فيها أفراد الأمة الواحدة، والتي تصنع بها هويتها وتميز انتماءها إلى الأمة الواحدة، وتتمايز بها عن سائر الأمم الأخرى.

فالثقافة، تحافظ الأمة على بقائها واستمرارية كيانها.(11) فكل مجتمع وسيلته الأساسية في المحافظة على نفسه ووجوده، هي ثقافته الوطنية الخاصة به. هو ما تلجأ بعض المجتمعات المهددة في ثقافتها الوطنية ولأجل الإبقاء على نفسها معنويا إلى الحروب، فتخوضها في بعض الأحيان دفاعا عن كيانها ووطنيتها. لذا تقوم المجتمعات، حماية كيانها وشخصيتها الوطنية، وتحمل مسؤولية ذلك إلى المدرسة بجعل دورها الأساسي هو المحافظة على الثقافة الوطنية. وذلك بتعليم التراث الثقافي لأجيال الأمة، بعد أن تجعل مقومات شخصية المجتمع والأمة، متضمنة في مضامين مناهجها التربوية في مختلف مراحل التعليم التي يمكن أن يمر عليها الطفل في المدرسة. لأن المدرسة هي الوحيدة القادرة على غرس، في نفوس الناشئة، حب هذا التراث الثقافي والتمسك به، والاعتزاز به. هو ما يحقق للجماعة الإنسانية بقاءها وتواصلها عبر الأجيال وتماسكها. والمحافظة على شخصيتها المُمَيَّزة بها عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى.

ومن المعلوم أن التراث الثقافي لمجتمعنا يقوم على أساس علاقات أفراد الاجتماعية، وهو ديننا ولغتنا، وفلسفة تفكيرنا وأخلاقنا وآدابنا. فهي العناصر المحددة بقوة لذاتيتنا المميزة لنا بين الأمم فالحاضر هو حصيلة الماضي. فالبناء الثقافي لا يقوم في الفراغ، فلا بد له من أساس يرتكز عليه، وهو ما تؤكد مقولة ابن خلدون، غلبة اللغة العربية بغلبة أهلها ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم.

فالمجتمع الجزائري له من التراث الثقافي ما يعتز به لغناه ولرفعة انتمائه الحضاري، إلى التراث الحضاري العربي الإسلامي. الذي نحن مرتبطين به فكريا وعقيدة وثقافة وتاريخا. هو ما يجعل التواصل الثقافي بين الأجيال لا يكون إلا

بلغة ثقافة هذا المجتمع. والأداة الأساسية لتعلم هذا التراث، هي اللغة التي تبقى عليه وتحافظ عليه وبها يدافع عنه.

وقياسا لما سبق، إن اللغة تؤدي والتفكير والتعبير والتواصل، وما يرتبط بها من التدنوق والتعاطف والمشاركة في وظائف المواقف والأعمال. واللغة إذ تنمو مترابطة مع النمو العقلي في الأطفال تأتي في نسق وتتابع. كذلك هي وعاء ثقافة الأمة والسبيل إلى استيعاب ماضيها وأساليبها في النظر إلى الواقع وهوية المجتمع وثقافته.

والاتصال كنظرية يبنى مدرسة فكرية تسعى إلى تفسير عمليات إرسال المعلومات واستعمالها بتوظيف اللغة اللفظية والحسية أو الرمزية أو الجسدية في نظام اجتماعي معين. والاتصال هو الوسيلة التي يستلم نظام اجتماعي من خلالها المعلومات ويقف عليها ثم يخرج منها بنتائج. إن هذا النظام يتلقى معلومات يحلها ويتفاعل معها. وتخلق التغييرات المستمرة المحيطة بهذا النظام الاجتماعي حاجات جديدة ترسل إلى هذا النظام وتبني حجم التحديات ومدى قدرته على تحملها. فعملية الاتصال هي الأداة الأساسية للتفاعل الاجتماعي.

إنَّ المعنى الوطني، للغة هو ذلك التطابق بين اللغة وروح الشعب. إن هذه الروح الباطنية هي التي تخلق التطور وتربط الماضي بالمستقبل عبر الحاضر، تملك دلالات عديدة. الدلالة الحضارية ودلالة الانتماء الإقليمية والاختيار الإلهي. وهي أيضا اللغة، أحد تعبيرات روح المجتمع. فلا يوجد مجتمع أو أمة لا تملك لغة. إن اللغة هي العنصر الأساسي لمقومات الشخصية الوطنية لأي مجتمع. إن اللغة هي التعبير الحقيقي عن الفكر الاجتماعي حيث أن الطابع الفكري لأفراد المجتمع، إنما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها اللغة. فاللغة هي التي تسمح وتحافظ عن وحدة وتماسك أفراد المجتمع الواحد والأمة الواحدة. بل إن اللغة هي التي تفرض على الجماعة التماسك في واقع تميز بالتجزئة والتفتت فرضتها ظروف التدخل الأجنبي وحركية الاحتلال الذي فرض عليها الخضوع إلى

سياسته الدخيلة والأجنبية بكل مبادئها السياسية والثقافية والوطنية. نتج عن هذه الوضعية هدر الكرامة والعزة الوطنية، فبهذا المعنى، تصير اللغة الوعاء الذي يحفظ ويحمي التراث الوطني للمجتمع.

والمؤكد من خلال ذلك، هو أن اللغة تسمح بالتواصل الاجتماعي كما تفرض التتابع بين اللغة وما تمثله من قيم وتطور وطني، وعندما يفقد أي مجتمع ذلك التتابع، فإن هذا يؤدي إلى تقلص العلاقة بين اللغة والضمير الوطني. وهو تهديد لاختفاء اللغة من ذلك المنظور الجماعي(12).

اللغة هي الوحيدة التي تسمح بالاحتفاظ بالتقاليد ونقلها من جيل إلى جيل. وفي هذه التقاليد يقول "هرز" بهذا الصدد: "اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عصير الحياة للأمة، والضمير الوطني لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال الأدب الذي تخلفه قريحة تلك الأمة". إن القرن الواحد والعشرين - قرن سياسة الجماهير وثقافة الجماهير - لا يمكن إلا أن يزيد من تأكيد هذه الحقيقة.

كذلك، فإن اللغة هي وحدها أداة للتعليم، بحيث يحتفظ النظام الثقافي ليس فقط باستمراريته بل - وبصفة أساسية - بالدلالة الحضارية التي يمثلها من حيث علاقته بالتراث الثقافي التاريخي. إن التاريخ الحقيقي للإنسانية، هو سلسلة مترابطة من التقاليد ولا تستطيع سوى التغييرات اللغوية حماية هذه الاستمرارية. اللغة هي أداة الاندماج الحقيقية. اندماج الماضي بالحاضر، اندماج روح الشعب بالتطور السياسي. اندماج الفرد في المجتمع الذي إليه ينتمي. هذه هي الوظيفة السياسية للغة في معناها الحقيقي.

إن اللغة ليست مجرد رموز وألفاظ. إنها قبل كل شيء آخر بنيان يشرب من خلال إطار منطقي للتعامل مع الواقع الاجتماعي، أولاً، ونظام متكامل للقيم الفردية والجماعية والجمالية للمجتمع.

إن اللغة صورة وجود أمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجوداً متميزاً قائماً بخصائصه كما جاء في قول الرافعي(13).

وحقيقة الأمر، ترجع دلالة اللغة الوطنية، كما لأي أحد من أفراد هذه الأمة، بتردد عن الإقرار بها، هو كون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة. ومن هنا، اكتسبت اللغة دلالاتها القدسية في نفوس المسلمين جميعا ومنهم الجزائريين. كما يراها العديد من المفكرين العرب والمستشرقين أنها جزء لا يتجزأ من حقيقة الإسلام(14).

واللغة العربية كما يشهد لها اللغويون بمقياسهم، أنها من اللغات الراقية بما تتمثله من ثراء في المفردات وصيغ التعبير والجمال، وقدرة الاشتقاق. واللغة العربية هي لغة تواصل واحدة بين كل أفراد المجتمع لما تحمله من دلالة قومية وعقائدية موحدة. مما جعلها تجمع ما بين ثلاث عناصر أساسية دالة على الانتماء الوطني العربي والديني الإسلامي وهي: لغة تنزيل القرآن، ولسان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة والهداية برسالة الإسلام. وبها تم توحيد الأمة العربية، التي تبلورت بها شخصية الأمة في ظل الإسلام قوميا.

11- خاتمة:

إنّ السياسة التربوية في الجزائر تبنت الديمقراطية المبنية على المساواة وإتاحة الفرص للطفل في الدراسة والتعلم. فهل أخذت هذه السياسة بعين الاعتبار وضعية الطفل اللغوية؟ وكيف ستكون وضعية المستوى اللغوي التي يتخرج منها التلميذ من المدرسة الجزائرية عند تكملته لمساره الدراسي؟ وهل بذلك هي محققة للأهداف المرجوة منه؟ فهي الصانعة للرجل المحافظ والحامي للغته الوطنية ولرموز ثقافته وحضارته. وهل استطاعت المدرسة أن تكون الرجل الذي باستطاعته مواجهة مختلف القيم الإنسانية المختلفة المتعارضة والمتصارعة بقوة لم تعرفها من قبل. أو بالأحرى، تستطيع المنظومة التربوية الجزائرية تفعيل اللغة الوطنية كلغة قوية ومرنة ومطواعة أن تكون المتجذر في واقعه التاريخي المجتمعي، وذات الوقت يتطلع إلى تقبل قيم الآخر بلا عقد ودون التخلي على المنظومة القيمية للمجتمع الذي ينتمي إليه.

من هذا المنطلق الفكري يتضح لنا أن الإعلام يقدم خدمة إخبارية هدفها التبصير والتنوير والإقناع، لتحقيق التكيف والتفاهم المشترك بين الأفراد، أما التعليم فإنه يهدف إلى استمرار التراث العلمي والاجتماعي والأدبي والحضاري للأجيال المتعاقبة، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم العقلية والبدنية.

قائمة المراجع:

- 1- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية، والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969- ص 37.
- 2- خالد عبد الرزاق السيد، اللغة بين النظرية و التطبيق، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2003، ص ص 32-33.
- 3- Paul Faoulgile, Dictionnaire de la langue pédagogique, Presse universitaire de France, 1971, p.38.
- 4- DABENE L., Repères sociolinguistiques pour l'enseignement des langues, HACHETTE, Paris, France, 1994, P 20.
- 5- Edward Sapir, Selected writings of Edward Sapir in language, culture and personality, ed. By david G. Mandelbaum, 1949, P 42.
- 6- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1979. ص 66.
- 7- Khaoula Taleb EL IBRAHIMI, Les Algériens et leurs langues, les Editions EL HIKMA, Alger 1995, p :292.
- 8- Meschonnic Henri, La pensée dans la langue, Presse Universitaire de Viennes, 1995, p.41.

- 9- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار العلم للملايين، القاهرة،
دون تاريخ، ص 18.
- 10- نفس المرجع، ص 25.
- 11- داوود حلمي أحمد السيد، اللغة والحياة والطبيعة البشرية،
عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص 69.
- 12- حمادي سعدون، اللغة العربية و الوعي الوطني، مركز
دراسات الوحدة العربية، 1984- ص 89.
- 13- مصطفى الرافي، وحي القلم، الجزء 3، دار المعارف،
القاهرة، دون تاريخ، ص 282.
- 14- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط3، مكتبة نهضة
مصر، القاهرة، 1957، ص 104.